

جامعة تكريت/ كلية الآداب

قسم التاريخ/المرحلة الأولى

المادة: السيرة النبوية

التدريسي/ م.د عبد الحليم احمد محمود

المحاضرة الاولى

نسبه و مولده:

تتفق المصادر التاريخية على عروبة محمد ﷺ وانتسابه الى قبيله قريش وهي تقدم لنا سلسله نسب متصله الحلقات في هذه المجال تبدأ بمحمد لتصل الى عدنان وعلى النحو الاتي: محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مره بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانه بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ان هذه السلسلة من النسب هي ما يتفق على ذكرها الناسيون العرب أما ما بعد ذلك وحتى تصل النسبة الى اسماعيل بن ابراهيم (عليه السلام) فهي من الأمور المختلف على تفصيلها كثيرا لبعدها من عصر الرسالة.

وقد لوحظ ان نسب رسول الله ﷺ يلتقي عند (فهر) بجميع بطون قريش لأن من كان من ولد فهر فهو قريشي" كما يلتقي نسبه عند (عدنان) بنسب جميع القبائل العربية الشمالية التي تدعي بالعدنانية.

و كان من اجداد محمد بن عبدالله الذين اضطلعوا بدور كبير في حياة مكة: قصي بن كلاب و هاشم بن عبد مناف وقد أوضحنا دور كل منهما عند الحديث عن أوضاع مكة السياسية و الاقتصادية في الفصل الأول: أما جده المباشر وهو عبد المطلب بن هاشم فإن من الضروري إلقاء بعض الاضواء على حياته ليس بسبب هذه الصفة فقط وإنما لأنه قام من محمد ﷺ مقام الأب والمربي بسبب وفاة الوالد عبد الله. نشأ عبد المطلب في مدينه يثرب وذلك لأن أمه سلمى بنت عمرو من بني النجار كانت من اهل يثرب وقد تزوجها هاشم عند أهلها ثم سافر بتجارته إلى غزه وهناك توفي ودفن وقد أشارت المصادر ألا أنه كان لهاشم أولاد آخرون ألا أنهم جميعها لم يتركوا لهم عقبا. لذا فإنه"ليس في الارض هاشمي الا من ولد عبد المطلب بن هاشم.

و حين بلغ عبد المطلب سن الفتوه والشباب قدم عمه المطلب بن عبد مناف إلى يثرب لأخذه إلى مكة وحين عارضت أمه ذلك اقنعها بقوله: "ابن اخي قد بلغ وهو غريب في غير موقعه ونحن اهل بيت شرف قومنا والمقام ببلده خير له من المقام هنا وهو ابنك حيث كان.

وذكر أن اسم عبد المطلب كان عامرا وقد أطلق عليه أيضاً اسم شيبه لأنه ولد وفي رأسه شيبه كما عرف باسم عبد المطلب بعد مجيئه الى مكة لأنه حين دخلها خلف عمه عبد المطلب بن عبد مناف قالوا: " هذا عبد المطلب فلزمه الاسم وغلب عليه.

## ثانيا: ولادة محمد بن عبدالله ﷺ

تفاوتت المصادر التاريخية تفاوتاً كبيراً في . مسألة تحديد تاريخ ولادة الرسول ﷺ وعمره حين وفاته. ويصل هذا الخلاف في تقدير عمره إلى خمس سنوات ففي الوقت الذي تذكر فيه بعض الروايات أنه توفي وعمره ستون سنة تذهب روايات أخرى إلى أن عمره كان ثلاثاً وستين، وفي حين تؤكد روايات أخرى أن عمره كان خمسا وستين سنة.

إن مما يساعد الباحث على تحديد تاريخ ولادة الرسول الله ﷺ هو الاستعانة بالتواريخ التي تتفق عليها معظم المصادر المعتمدة، ومن جملة هذه التواريخ تاريخ وفاة الرسول ﷺ ، إذ تجمع المصادر إلى أنه توفي في السنة الحادية عشر للهجرة، وهي توافق سنة ٦٣٢ م. كما تتفق معظم المصادر على أن عمره حين نزل عليه الوحي برسالة الإسلام كان أربعين سنة ، وإنه بقي يدعو إلى الله في مكة ثلاثة عشر سنة قبل أن يهاجر إلى المدينة.

وبذلك يمكن للباحث أن يقرر أن الرسول ﷺ قد نبئ في سنة ٦٠٩م، وإنه قد ولد في سنة ٥٩٦م، وأن عمره حين وفاته كان ثلاثاً وستين سنة. أما الروايات التي تذهب إلى أن عمره حين نزل عليه الوحي كان ثلاثاً وأربعين سنة، فإنها تبدو لنا روايات ضعيفة وذلك لأنها جاءت على خلاف ما اتفقت عليه معظم الروايات، بالإضافة إلى أن القرآن الكريم كان بعد سن الأربعين هي من الاكتمال والنضج، وقد أشار إلى ذلك بقوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ )

أما عن الظروف التي ولد فيها الرسول ﷺ، فإن معظم الروايات تذكر أن والده توفي وهو لا يزال في بطن أمه، أي أنه ولد يتيم الأب، غير أن المصادر تورد روايات أخرى مفادها أن الرسول ﷺ ولد في حياة والده، وإن والده حين توفي كان عمره وفقاً لإحدى الروايات ثمانية وعشرين شهراً، بينما تذهب رواية أخرى إلى أن الرسول . حين وفاة والده لم يكن قد أكمل ثلاث سنوات من العمر، في الوقت الذي تذهب رواية أخرى إلى أن والده قد توفي وهو في السنة الثانية من مولده (، وتذهب رواية أخرى إلى أن والده توفي وعمره سبعة أشهر، وفي حين تقرر رواية أخرى أن والده توفي بعد مولده بشهر واحد .

إن التضارب الشديد بين الروايات التي تتحدث عن عمر الرسول حين وفاة والده تجعلها جميعاً غير جديرة بالثقة، فضلاً عن مناقضتها لما رجحه معظم المؤرخين من أن رسول الله ﷺ ولد بعد وفاة والده عبد الله، وإن مما يقوي هذا الرأي ما أورده كتب السيرة من تردد المرضعات اللاتي قدمن من البادية في أخذه من والدته حين سمعن بأنه يتيم.

## المحاضرة الثانية

### حياة محمد ﷺ مع مرضعته وجدته وعمه:

#### أ\_ حياته مع مرضعته

مكث محمد ﷺ مع أمه فترة قصيرة من الزمن بعد ولادته ريثما يجدون له مرضعة تتولى أمر إرضاعه، وقد ذكر أن أول من أرضعته مولاة لأبي لهب تدعى ثوبية (وأرضعت معه أبا سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي بلبن ابنها مسروح وأرضعت

معه عمه حمزة ابن عبد المطلب)، فكان هؤلاء الثلاثة أخوة لرسول الله في الرضاعة. وإن مما يدعو للتساؤل في هذا المجال عدم إشارة المصادر التاريخية إلى قيام والدة الرسول ﷺ بإرضاعه، وإناطة هذه المهمة بغيرها من النساء حتى قبل أن تجد له مرضعة تتولى أمر حضائنه وإرضاعه. فهل كانت أمه آمنة بنت وهب تعاني من بعض المتاعب الصحية التي تمنعها من إرضاعه، وبخاصة وأنها قد توفيت بعد ذلك بسنوات قليلة كما ستوضح ذلك لاحقاً.

يقول ابن إسحاق أن عبد المطلب أخذ يلتمس المراضع لرسول الله ﷺ بعد

ولادته. ويروي أنه قدم إلى مكة بعض المراضعات من بادية بني سعد بن بكر بن هوزان، يلتمسن الحصول على أطفال لإرضاعهم، وكان عددهم حسب إحدى الروايات عشر نسوة. فما من امرأة منهن إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ - كما تقول حليلة السعدية - فإذا قيل لها: إنه يتيم تركناه، وقلنا: ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه؟ إنما نرجو المعروف من أبي الوليد، فأما أمه فما عسى أن تصنع إلينا؟ فوالله ما بقي من صواحيبي امرأة إلا أخذت رضيعاً غيري، فلما لم أجد غيره، قلت لزوجي الحارث بن عبد العزى، والله اني أكره أن أرجع من بين صواحيبي ليس معي رضيع الأنطلق إلى ذلك اليتيم فلاخذنه ..... إن النص الأنف الذكر يشير إلى أن إرسال الأطفال مع المراضعات إلى البادية كان عادة قرشية تمارسها الأسر الموسرة في مكة، وقد ذكر أن من أسباب هذه العادة حرص أهل مكة على أن ينشأ أطفالهم في جو صحي بعيد عن الوباء، ومن أجل أن يتعلموا فصاحة اللسان وخشونة العيش، لقد كانت مكة بحكم مركزها الديني التجاري مدينة يلتقي فيها أناس من قبائل وأجناس مختلفة مما يؤثر على لهجات وعادات أهلها فضلاً عن احتمال نقل عدوى الأوبئة إلى أبنائها، فلا غرابة أن تحرص بعض العوائل الموسرة على إرسال أطفالها إلى البادية. وربما كان لاصول قبيلة قريش البدوية علاقة بهذه الممارسة حيث بقيت المثل العليا مرتبطة بأجواء البادية على الرغم من إقامتهم الطويلة نسبياً في مكة. وقد روي عن الرسول مفاخراً في نشأته في بني سعد وتعلمه لسانهم قوله لأصحابه: "أنا أعربكم، أنا قرشي، وأسترضعت في بني سعد بن بكر".

ولا تتفق المصادر في تحديد المدة التي مكثها رسول الله ﷺ في بادية بني سعد لدى مرضعته حليلة السعدية. فقد ذكر ابن إسحاق أن محمداً ﷺ قد بقى في كنف حليلة سنتين، فكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان فوالله ما بلغ سنتين حتى كان غلاماً جفراً - أي الغليظ الشديد -، فقدمت به على أمه. فكانت هذه المرحلة الأولى من إقامته لدى حليلة، وهي في حقيقتها فترة حضائنه ورضاعه، ثم إن حليلة أقتعت أمه بتمديد إقامته عندها سنة أخرى لأنها تخشى عليه أوباء مكة، فوافقت على ذلك غير أن حليلة لم تلبث سوى شهرين أو ثلاثة، حتى أعادته إلى أمه، لأنها خشيت عليه "الإتلاف

والأحداث " على حد تعبيرها، وبذلك تكون فترة إقامة الرسول ﷺ في بادية سعد أكثر من سنتين بقليل حسب رواية ابن إسحاق.

بني وقد ذكرت بعض الروايات أن إقامة الرسول ﷺ لدى حليلة السعدية قد امتدت إلى أربع سنوات ، في حين ذهبت روايات أخرى إلى أن الرسول ﷺ قد بقي عند

مرضته خمس سنوات

### ب\_ حياته مع جده

انتقلت العناية بمحمد ﷺ بعد وفاة والدته إلى جده عبد المطلب. وكانت تعينه في هذا المجال مولاته وحاضنته أم أيمن. وقد حرص عبد المطلب أن يعوض الرسول ﷺ عن فقدانه حنان أمه فضاغف في اهتمامه به وحرص عليه، وكان من مظاهر هذا الاهتمام ما ذكره ابن إسحاق من أنه كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له، قال: فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام جفر حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب، إذا رأى ذلك منهم: يدعو بني، فوالله أن له لثأناً، ثم يجلسه معه على الفراش، ويمسح ظهره بيده. كما ذكر أن عبد المطلب كان يوصي أم أيمن بالأ تغفل عن مراقبة الرسول

والاهتمام به حتى أنه قال لها مرة "يا بركة لا تغفلي عن ابني، فإني وجدته مع غلمان قريباً من السدرة. وكان عبد الملك لا يأكل طعاماً إلا قال: علي يا بني، فيؤتى به إليه) .

وحين حضرت الوفاة عبد المطلب، وكان قد غدا شيخاً كبيراً قدر الإخباريون سنه بما يزيد على اثنين وثمانين عاماً ، وكان قد فقد بصره ) ، أوصى ابنه أبا طالب بحفظ رسول الله ﷺ وحياطته، ربما لأنه كان وعبد الله والد الرسول ﷺ أخوين من أم واحدة .

لقد كان من الطبيعي أن يتأثر الرسول ﷺ لوفاة جده كثيراً بعد أن ذاق في كنفه كل رعاية وحنان. وقد وصفت أم أيمن حالة رسول الله ﷺ عند وفاة جده بقولها: " رأيت رسول الله ﷺ يومئذ يبكي خلف سرير عبد المطلب . وقد سئل رسول الله ﷺ بعد ذلك إن كان يتذكر موت عبد المطلب فقال: "نعم أنا يومئذ ابن ثمان سنين.

### ج\_ حياته مع عمه

انتقل محمد ﷺ بعد وفاة جده إلى دار عمه أبي طالب وكان اسمه عبد مناف،

للعيش في كنفه مع بقية أفراد عائلته. وقد تولى أبو طالب كفالة الرسول ﷺ على الرغم من أنه لم يكن أكبر أخوته، فقد كان الحارث أكبر منه سناً، ولم يكن أكثر إخوانه مالاً، فقد كان العباس أغنى منه كثيراً . بل إن المصادر التاريخية تكاد تجمع على أن أبا

طالب كان لا مال له، إلا أنه كان يحب ابن أخيه محمداً ﷺ حباً شديداً لا يحبه ولده . لذا فقد رويت عنه العديد من صور الرعاية والعناية التي تعبر عن هذا الحب. فقد روى أنه كان "لا ينام إلا إلى جنبه، فيخرج معه ..... وكان يخصه بالطعام) .

وقد روي أن أبا طالب كان يتجهز للسفر إلى الشام في إحدى القوافل التجارية لأهل مكة، فتعلق به رسول الله ﷺ وتوسل إليه أن يأخذه معه بقوله: "يا عم إلى من تكلني؟ لا أب لي ولا أم فرق له أبو طالب، وقال: والله لأخرجن به معي، ولا يفارقني

ولا أفارقه أبداً". وقد اختلفت الروايات في تقدير عمر الرسول حينما صحب عمه في هذه الرحلة، فقد ذكر الطبراني أن عمره كان تسعة سنوات ( ، بينما أورد ابن قتيبة وابن سعد رواية تشير إلى أن عمره كان اثنتي عشر سنة ) ، وقد أتاحت هذه الرحلة الطويلة للرسول ﷺ على الرغم من صغر سنه أن يشاهد العديد من القرى والمدن في خارج بلده، فرأى بصرى ومدين ووادي القرى ومواقع أخرى جميلة ذات زرع وضرع وعيون وأبار لا تقاس بها مكة، ولا أي موضع آخر في الحجاز وشاهد رهباناً ونصارى يقيمون في تلك الأماكن ولا بد أن تلك المشاهد كان لها أثر في توسيع دائرة تفكيره واهتمامه ضمن حدود معينة.

## المحاضرة الثالثة

### زواج الرسول محمد ﷺ من خديجة

إن خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، امرأة من صميم قبيلة قريش كما هو واضح من نسبها، وأمها فاطمة ابنة زائدة بن الأصم بن عامر بن لؤي

وكان أبوها خويلد زعيم عشيرته وقائدهم وفي ولده البيت والعدد. وقد ولد لخويلد ثلاث بنات من خديجة (أم المؤمنين، وهالة، أم أبي العاصي بن الربيع صهر النبي ﷺ، ورفيعة، وثلاث بنين هم: العوام بن خويلد والد الزبير بن العوام"، وحزام بن خويلد والد حكيم بن حزام"، ونوفل بن خويلد).

وقد تزوجت خديجة قبل الرسول ﷺ رجلين، كان الأول هو عتيق بن عائد المخزومي فولدت له ابنة كانت تسمى أم محمد تزوجها صيفي بن أبي رفاعة، وقد قتل في معركة بدر كافراً، وأما زوجها الثاني فكان أيا هند بن زرارة بن النباش

التميمي، ولقد ولد له منها ابن أسماء هندا. وقد بقي هند مع أمه بعد زواجها من رسول الله ﷺ وعاش في كنفه. وكان يفخر بأنه ربيب رسول الله ﷺ، وأنه أكرم الناس أبا وأما وأخا وأختا، فكان يقول: "أبي رسول الله ﷺ، وأمي خديجة، وأختي فاطمة، وأخي القاسم. وقد عاش حتى شهد أحدًا، وقيل شهد بدر... ومات بالبصرة. لقد وصفت المصادر خديجة بأنها "أوسط نساء قريش نسبا، وأعظمهم شرفا، وأكثرهم ما لا. كما قيل عنها أنها امرأة حازمة جلدة، وأنها كانت "امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه. ولم يوضح لنا المؤرخون الذين تحدثوا عن خديجة كيف أصبحت غنية ومن أين جاءت ثروتها، لذا فإن للباحث أن يفترض بأن نواة ثروتها ربما جاءت عن طريق زوجها عتيق وأبي هالة فضلا عما أخذته عن أبيها خويلد. وقد استطاعت أن تنمي

ثروتها عن طريق العمل بالتجار

وتذهب معظم الروايات التاريخية إلى أن عمر الرسول ﷺ حين تزوج من خديجة كان خمسا وعشرون سنة، أما هي فكان عمرها أربعين سنة. وقد أشارت إحدى الروايات إلى أنه كان ابن ثلاث وعشرين سنة وخديجة بنت ثمان وعشرين سنة. في الوقت الذي ذهبت فيه رواية أخرى إلى أن عمر خديجة الله كان آنذاك خمسا وثلاثين وقيل خمسا وعشرين). ويبدو أن الروايات التي ذهبت إلى أن عمر خديجة كان يقل عن أربعين سنة حين زواجها من الرسول ﷺ هي الأقرب للصواب وذلك لأنها استطاعت أن تنجب من الرسول ﷺ سبعة أولاد قبل أن يدركها سن اليأس علما بأن هذه السن تأتي النساء في البلاد الحارة بصورة مبكرة. لقد بدأت علاقة خديجة مع الرسول ﷺ حين كلفته للقيام برحلة إلى الشام

والتجارة في أموالها، وقد أرسلت معه في هذه الرحلة غلامًا لها يدعى ميسرة، فخرج الرسول ﷺ مع ميسرة في قافلة تجارية لقريش إلى بصرى في بلاد الشام، فباع ما معه من بضاعة هناك، واشترى ما أراد أن يشتريه، ثم أقبل راجعا إلى الله مكة، فباعت خديجة ما جاء به، فربحت ضعف

ما كانت تريح عادة. لذا فقد دفعت للرسول ﷺ ضعف ما سمت له من أجور لقاء قيامه بهذه الرحلة

وقد أشارت بعض المصادر المتأخرة إلى أن علاقة الرسول ﷺ التجارية كانت قد بدأت مع خديجة قبل رحلته إلى الشام، فقد ذكر ابن سيد الناس رواية عن الزهري تقول

أنه كلما استوى رسول الله ﷺ ، وبلغ أشده، وليس له مال كبير استأجرته خديجة بنت خويلد إلى سوق حباشة بتهامة واستأجرت معه رجلاً آخر من قريش، فقال رسول الله ﷺ

وهو يحدث عنها: "ما رأيت من صاحبة لأجير خيراً من خديجة، ما كنا نرجع أنا

وصاحبي إلا وجدنا عندها تحفة من طعام تخبؤه لنا ) كما أورد ابن كثير رواية تقول أن

الرسول ﷺ قال: "أجرت نفسي من خديجة سفرتين بقلاص – أي ناقة.

فإذا صحت هذه الروايات فلا بد أن علاقة الرسول ﷺ مع خديجة كانت قد بدأت قبل رحلته إلى الشام بمدة مناسبة سنتين أو أكثر، وأنه قد قام لها خلال هذه الفترة بعدة رحلات تجارية إلى مناطق وأسواق مختلفة. بل إن مفاوضة أبي طالب لها من أجل أجور أعلى للرسول ﷺ قبل رحلته إلى الشام جاءت ليست بمناسبة ابتداء عمله عندها، بل من أجل اتفاق جديد وبأجور تتناسب وكفاءة محمد ﷺ ، وما كان يحققه لها من أرباح.

إن رواية الزهري التي يشيد فيها الرسول ﷺ بكرم خديجة، وأنها كانت تفاجئه وصاحبه كلما عاد من رحلة تجارية بتحفة من الطعام كانت تخبؤه لهما، توحى بأن خديجة كانت قد أسقطت الكلفة والحواجز في الحديث والمجالسة مع الرسول ﷺ مما ينسجم مع الرواية التي أوردها ابن إسحاق من أن خديجة حينما اقتنعت بفكرة الزواج من الرسول ﷺ، وبخاصة بعد أن حدثها غلامها ميسرة عن أوضاعه وأخلاقه في رحلته معه إلى الشام بعثت إليه، فقالت له: يا ابن عم، إنني قد رغبت فيك لقرابتك مني وشرفك في قومك، وسطتك فيهم، وأمانتك عندهم، وحسن خلقك، وصدق

ويبدو أن الرسول ﷺ، قد فرح بعرض خديجة للزواج منه فرحب به، وتذهب بعض الروايات إلى أن خديجة قد مهدت لمفاتيحه بالزواج بأن أرسلت إليه إحدى صديقاتها، وهي نفيسة بنت منبه للتعرف بصورة غير مباشرة على رأيه بالزواج من خديجة، فقالت له: يا محمد ما يمنعك أن تزوج؟ فقال: ما بيدي ما أتزوج به، قالت: فإن كفيت ذلك، ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة، ألا تجيب؟ قال: فمن

هي؟ قالت: خديجة، قال: وكيف لي بذلك؟ قالت .... علي، قال: فأنا أفعل . وتشير الروايات إلى أن كلا من خديجة ومحمد ﷺ قد بادرا بعد اتفاقهما على الزواج، إلى استكمال متطلبات الخطوبة. فأرسلت خديجة إلى عمها ليزوجها لأن والدها كان قد توفي، كما ذهب الرسول محمد ﷺ إلى أعمامه من أجل اصطحابه للذهاب إلى عمها لمفاتيحه بأمر الزواج. وقد ذكر ابن إسحاق أن الذي اصطحب الرسول ﷺ من أعمامه هو حمزة، فدخل على عمها فخطبها إليه، فتزوجها رسول الله ﷺ . وقد ذكر ابن إسحاق أن الرسول ﷺ قد دفع صداقاً – أي مهراً – الخديجة عشرين بكرة – أي عشرين جملاً

وبزواج الرسول محمد ﷺ من خديجة انتهت إقامة الرسول ﷺ في بيت عمه أبي طالب، فانتقل إلى بيت زوجته في رباع بني أسد، قرب المسجد الحرام.

لقد وفر زواج الرسول ﷺ من خديجة، للرسول حياة الاستقرار والطمأنينة ولم يعد

العمل من أجل توفير سبل العيش يقلقه، فقد أغنته أموال خديجة عن ذلك، وإن كان ذلك لم يصرفه عن العمل، ولا بد أنه قد خصص قدرًا من وقته لإدارة أموال خديجة والإشراف على تجارتها، ولكن لم تصل إلينا أية أخبار عن قيامه بنشاطات تجارية في

مكة أو قيامه بأية رحلات إلى خارجها منذ تزوج خديجة.



## المحاضرة الرابعة

### بناء الكعبة وتحكيم محمد ﷺ:

لا تزودنا المصادر بأية معلومات عن حياة الرسول ﷺ العامة منذ تزوج خديجة وحتى السنة الخامسة قبل البعثة، غير أنه وقعت في هذه السنة حادثة تفيدنا في التعرف على جوانب من شخصيته ﷺ ومركزه في قومه، فقد حصل في هذه السنة خصام شديد بين العشائر المكية، وكانت كل عشيرة تريد أن يكون لها شرف وضع الحجر الأسود في مكانه فمكثت قريش أربعة ليالي أو خمسا بعضهم من بعض، ثم أنهم اجتمعوا في المسجد، فتنشاوروا وتناصفوا ... فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان كبيرا وسيد قريش كلها، قال: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل عليكم من باب المسجد. فلما توافقوا على ذلك ورضوا به دخل رسول الله ﷺ. فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، قد رضينا بما قضى به بيننا، فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر، فقال: هلموا ثوبا، فأتوا به، فوضع رسول الله ﷺ الركن فيه بيديه، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوا جميعا

حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه رسول الله ﷺ بيده، ثم بنا عليه . إن ترحيب العشائر المتنازعة بالرسول ﷺ ليكون حكما بينهم، ووصفه بالأمين يدل على المكانة المتميزة التي كان يتمتع بها الرسول ﷺ في أوساط قومه، كما أن مبادرته إلى تقديم الحل المناسب للنزاع من غير تردد أو تلكؤ تدل على مدى ما كان يتمتع به من حكمة وسرعة بديهة في مواجهة المواقف الصعبة، ولا بد أن مكانته قد ارتفعت في نظر عشيرته وقومه، وذلك لدقة حكمه وحسن تصرفه في معالجة هذه

المسألة الصعبة.

## المحاضرة الخامسة

### دوافع المسلمين الاوائل في اعتناق الإسلام:

لقد تساءل العديد من الباحثين عن طبيعة الدوافع التي دفعت المسلمين الأوائل إلى التخلي عن ديانة آبائهم وأجدادهم واعتناق الإسلام). والحقيقة أننا لا نعثر في القرآن الكريم والمصادر التاريخية على جواب مباشر على هذه المسألة. لذا فإن ضرورات البحث تدعو إلى محاولة العثور على الجواب من خلال دراسة الظروف الدينية والاقتصادية والسياسية التي نشأت في إطارها الدعوة الإسلامية، وهو الأمر الذي تولى الفصل الأول من الكتاب معالجته، ودراسة طبيعة التعاليم التي جاء بها الإسلام في بداية نزول الوحي على الرسول ﷺ، وهو ما عرضنا له بايجاز في المبحث السابق.

إن مجمل التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي أحاطت بالمجتمع العربي والمكي على وجه الخصوص قد أدت إلى ظهور قلق روحي واجتماعي عميق.. وقد عبرت عن هذا القلق تلك التوجهات التوحيدية التي ظهرت عند أولئك الأحناف الذين رفضوا عبادة الأصنام، ولم تطمئن قلوبهم إلى الديانة اليهودية أو النصرانية، وراحوا يبحثون عن الدين الحق دين أبيهم إبراهيم... ويبدو أن الرسول ﷺ كما أوضحنا سابقاً، لم يكن بعيداً عن هؤلاء الباحثين عن الدين الحق، إذا لم يكن أبرزهم، لذا فقد من الله عليه بالهداية إلى الإسلام: ((أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ)).

إن التأمل في الآيات القرآنية الأنفة الذكر يوضح مدى التداخل بين العوامل

الاجتماعية والدينية والاقتصادية في الخطاب القرآني، حيث لم يفصل الله تعالى فيه بين استنقاذ الرسول ﷺ من حالة البتم والضلال الروحي، والفقر، بل عالجهما جميعاً وكأنها حالات متداخلة يؤثر بعضها في بعض كما لم يفصل بين كل ذلك وبين دعوته للبر الاجتماعى

إن دراسة الآيات القرآنية المبكرة لتؤكد أن الإسلام لم يفصل في تعاليمه بين الجوانب الروحية البحتة وبين الجوانب الاجتماعية والاقتصادية، لذا فإن آيات القرآن الكريم تربط في وقت واحد بين الحديث عن عناية الله تعالى ورعايته للإنسان وبين تكليفه له بأن يرعى أخاه الإنسان ويساعده على تجاوز المصاعب التي تواجهه في

الحياة على الصعيد الاقتصادي والاجتماعى. إن وجود منظور شمولي للحياة في الإسلام يغطي الجوانب الدينية والاجتماعية

والاقتصادية والسياسية، لا يعنى أن هذا المنظور قد ظهر مرة واحدة ومنذ البداية، كما لا يعنى أن جميع المؤمنين الأوائل قد آمنوا نتيجة استيعابهم لهذا المنظور الشمولي بل المقصود أن ملامح هذا المنظور كانت ظاهرة منذ البداية، كما أن المؤمنين الأوائل قد استجابوا للدعوة لأن كل واحد منهم وجد في الإسلام أو في جوانب معينة من تعاليمه ما يشبع حاجته وتطلعاته في الحياة سواء أكان ذلك في الجانب الروحي أو في

الجانب الاقتصادي والاجتماعي بالإضافة إلى الجانب الروحي ومن ثم، فإن بالإمكان القول أن إسلام أشخاص من أمثال خديجة وزيد بن

بن حارثة، وعبد الله بن جحش، وعثمان بن مظعون وخالد بن سعيد بن العاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قد جاء لاعتبارات دينية بالدرجة الأولى لأنهم كانوا من الاحناف أو ممن له صلة وثيقة بهم. كما يمكن تلمس الدوافع الاجتماعية والاقتصادية إلى جانب الدوافع الروحية في إسلام بعض المستضعفين من الموالي والرقيق وغيرهم.

وإن مما يؤكد الاستنتاجات الأنفة الذكر أن الذين تصدوا لمقاومة الدعوة، إنما تصدوا لها ليس لاعتبارات دينية بحتة، بل لأسباب اجتماعية واقتصادية وسياسية أيضاً، وهو الأمر الذي سنوضحه في المبحث اللاحق.

## المحاضرة السادسة

### علنية الدعوة ومقاومه زعماء المشركين لها:

واصلت الدعوة الإسلامية

انتشارها بصورة هادئة بين أفراد قبيلة قريش على مدى ثلاث سنوات من تاريخ نزول الوحي على الرسول ﷺ حتى لم تبق عشيرة من العشائر

المكية إلا وقد وجد الإسلام بين أفرادها من يؤمن به ويناصره، ومن ثم، فقد غدا الانتقال من مرحلة سرية الدعوة التي تعني الحذر والتكتم واعتماد أسلوب الاتصالات الفردية في الإقناع إلى مرحلة علنية الدعوة أمراً ضرورياً للوفاء بمتطلبات انتشار الإسلام. كما أن مبادئ الإسلام ونشاطات المسلمين لم تعد سراً خفياً على أهل مكة بحكم صغر مدينة مكة وقوة الترابط بين سكانها. لذا فقد أمر الله تعالى نبيه أن يصدع بإعلان مبادئ الإسلام وأن يبادئ الناس بأمره، ويدعو إليه، فقال له: ﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾

ويبدو أن زعماء المشركين لم يتصدوا لمعارضة الإسلام بعد إعلان الدعوة وقبل أن تنزل على الرسول ﷺ آيات قرآنية فيها ذم لآلهتهم وتسفيه توجههم لها بالعبادة. قال ابن إسحاق: فلما بادئ رسول الله ﷺ قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله، لم يبعد منه قومه، ولم يردوا عليه - فيما بلغني - حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما

فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته).

ويستنتج مما أورده ابن سعد عن الزهري أن موقف المشركين من الرسول ﷺ

ودعوته كان يتسم بالبرود وبنوع من السخرية وعدم الرضا، فكان إذا مر عليهم رسول الله ﷺ في مجالسهم يشيرون إليه، إن غلام بني المطلب ليكلم من السماء ". لذا فر بما كانت الآيات القرآنية التي نزلت على الرسول ﷺ بعد أمره بإعلان الدعوة هي بمثابة نقد لموقف المشركين من الرسول . قال تعالى: ﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِمِينَ الَّذِينَ تَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا وَآخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾

السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ) .

وهكذا أخذت حدة المواجهة بين الرسول ﷺ وزعماء المشركين تزداد، وبدأ القرآن الكريم يوجه النقد إلى عقيدتهم في عبادة الأصنام، مما جعل زعماء مكة يشعرون بخطر الدعوة على مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بالشرك ورعاية الأصنام، فعزموا على الوقوف في وجه الإسلام والتصدي للمؤمنين بمبادئه، وقد أورد الطبري رواية عن عروة بن الزبير توضح تطور موقف المشركين من الدعوة، جاء فيها: "فإنه - يعني رسول الله ﷺ - لما دعا قومه لما بعثه الله من الهدى والنور الذي أنزل عليه، لم يبعدوا منه أول ما دعاهم، وكادوا يسمعون له، حتى ذكر طواغيتهم، وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال انكروا ذلك عليه، واشتدوا عليه، وكرهوا ما قال لهم وأغروا به من أطاعهم، فانصفق عنه عامة الناس، فتركوه الا من حفظه الله منهم، وهم قليل.

وهكذا نلاحظ أن العامل المركزي الذي دفع زعماء المشركين لمقاومة الدعوة الإسلامية هو معارضتها للشرك وعبادة الأصنام. وقد يبدو هذا الأمر مستغرباً للوهلة الأولى، وذلك لأن عقيدة الشرك "لم تكن لها فلسفة قوية تدافع عنها، كما يظهر من محاجبة القرآن – للمشركين -، حيث لا يظهر من هذه المحاجبة وجود فكرة حية واضحة عندهم، كما لم تذكر آراء واضحة عن ديانتهم أو عن وجود رجال دين

يتحمسون في الدفاع عن هذه الديانة.

إن ما تقدم، يتطلب البحث عن الأسباب الحقيقية التي كانت تحرك زعماء المشركين لمقاومة الدعوة الإسلامية بحجة الدفاع عن ديانة الآباء والأجداد.

## المحاضرة السابعة

### عوامل مقاومه المشركين للدعوة الإسلامية:

إن استقراء الآيات القرآنية التي نزلت في المرحلة المكية وما أوردته المصادر التاريخية توصلنا إلى إرجاع أسباب مقاومة المشركين للدعوة إلى العوامل الآتية: - ١- العامل الاقتصادي: لقد سبق أن أوضحنا أن أحد العوامل الرئيسية في الازدهار

الاقتصادي الذي تحقق في مكة هو وجود البيت الحرام فيها. ونجاح زعماء قريش في استثمار الحرم المكي والأشهر الحرم لتنظيم تجارة القوافل بين اليمن والشام والعراق عبر نظام الإيلاف .

وقد أدرك زعماء قريش أن تخلي قبيلة قريش عن الشرك وعبادة الأصنام

سيقوض الأسس التي قام عليها "إيلاف قريش" وسيدخلها في صراع مستمر مع أغلبية

القبائل العربية المشركة. وقد عبر المشركون عن تخوفهم من هذه النتيجة كما يذكر ذلك القرآن الكريم بقوله ( وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ تَتَخَطَّفَ مِنْ أَرْضِنَا ).

إن هذا الارتباط العميق بين الأوضاع الدينية في مكة ونشاطاتها التجارية هو الذي يوضح لنا لماذا تصدى كبار تجار مكة المقاومة الدعوة الإسلامية، وبخاصة حينما

أعلنت موقفها الصريح من الشرك وعبادة الأصنام. - ٢- العامل الاجتماعي: لقد عد المشركون في مكة التعاليم التي جاء بها الإسلام خطراً على نظامهم الاجتماعي من عدة نواح. فمن ناحية احترام النظام القبلي لتقاليد الآباء والأجداد، دعت دعوة الإسلام إلى التوحيد وترك الشرك، تكفيراً وتسفيهاً لما كان عليه أبائهم وأجدادهم ( بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ

وَأَثَرِهِمْ مُمْتَدُونَ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ وَآثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ \* قَالَ أُولُو حِجْنُكُم بِأُهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ وَآبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ، كَافِرُونَ ).

كما عد المشركون خروج المسلمين على إرادة عشائريهم واجتماعهم على عقيدة جديدة، لا تقوم على العرف القبلي وإنما تقوم على فكرة الوحي الإلهي، وتحت قيادة مستقلة عن قيادة الملأ المكي وهي قيادة الرسول ، تهديدا لوحدة المجتمع وتفريقاً له. وقد عبر المشركون عن هذا التهديد حينما جاؤوا إلى أبي طالب - عم النبي - ليكلموه في أمره، فقالوا: "خل بيننا وبين ابن أخيك هذا الذي فارق دينك ودين آبائك

وفرق جماعة قومه، وسفه أحلامهم.

وقد عد زعماء قريش مقاييس التفاضل الاجتماعي التي جاء بها الإسلام التي تجعل من التقوى والعمل الصالح أساس التفاضل بين الناس خطراً على نفوذهم ونظامهم الاجتماعي الذي يستند على النسب والثروة وكان مما يثير المشركين ويفلقهم تلك الحملات القوية التي شنّها القرآن الكريم على أسس نظامهم الاجتماعي

في العديد من الآيات نحو قوله ( وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ )

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ هُم جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ ءَامُونَ )) .

٣- العامل السياسي: لقد شكل نزول الوحي على الرسول بتعاليم السماء، ودعوة القرآن الكريم الناس إلى طاعة الله ورسوله ، لأن من يطع الرسول فقد أطاع الله، تهديدا قويا للزعامة القبلية في مكة، لأن من شأن انتشار الإسلام أن يؤدي إلى انتقال القيادة إلى يد الرسول ﷺ بصورة تلقائية. لذا فقد أبدى زعماء المشركون امتعاضهم من نزول الرسالة على رجل ليس من فئة زعماء مكة، ومن ثم فقد راحوا يسخرون من الرسول كما يصور ذلك القرآن الكريم ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَهْذًا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ ، ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْبِينَ عَظِيمٍ ﴾ .

وهكذا نلاحظ أن العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية قد تشابكت مع

بعضها، ووقفت وراء واجهة الدفاع عن ديانة الآباء والأجداد، لتكون سلاحا بيد رجال الملأ من زعماء مكة المقاومة للإسلام وإثارة بسطاء الناس عليه.

ويبدو أن المواجهة الدينية بين الرسول وبين قومه من مشركي مكة قد سبقتها محاولة قام بها الرسول الإنذار قومه وتحذيرهم من مغبة عذاب عظيم يوم القيامة إذا لم يستجيبوا لنداء الدعوة الإسلامية. فقد ذكرت المصادر أنه لما نزلت على الرسول ﷺ آية ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) صعد رسول الله ﷺ على الصفا يهتف، فأقبلوا، واجتمعوا، فقالوا: ما لك يا محمد؟ قال: أرأيتم لو أخبرتمكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقونني؟ قالوا: نعم أنت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذبا قط. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد يا بني عبد المطلب يا بني عبد مناف يا بني زهرة حتى عدد الأفخاذ من قريش، إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، وإني لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا لا إله إلا الله، قال: يقول أبو لهب تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعنا؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: تبت يدا أبي لهب وتب، (السورة كلها).

إن مما تجدر ملاحظته على هذه الرواية أن الرسول قد عد جميع بطون قريش بمثابة " عشيرته الأقربين " وليس بني عبد المطلب فقط، لذا فقد توجه إليهم جميعا

بالإنذار، وربما كان سبب ذلك أنه كان لعشيرته علاقات زواج بكافة عشائر مكة، وإنه " لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله وبينهم قرابة " .

كما يلاحظ أن الشخص الوحيد الذي تصدى المعارضة الرسول ﷺ وانتقاده هو عمه أبو لهب على خلاف ما يقضي به العرف القبلي من تضامن أفراد العشيرة الواحدة

فيما بينهم في شتى الظروف والأحوال. بل إن موقف أبي لهب من الرسول ﷺ ليدعو للاستغراب أكثر في ضوء الروابط الأخرى التي كانت تربطهما إذ كانت ابنتا الرسول ﷺ رقية وأم كلثوم مخطوبتين لعنبة وعتيبة ابنا أبي لهب قبل أن يفرق بينهما الإسلام.

وقد عزى موقف أبي لهب من الرسول إلى طموحه التجاري ورغبته في توثيق صلاته مع أغنياء مكة، وبخاصة أن زوجته أم جميل كانت من أسرة أمية الغنية، وهي أخت لأبي سفيان).



## المحاضرة الثامنة

### حمایه بنی هاشم وبنی المطلب للرسول ﷺ:

إن عدم نجاح الرسول في الحصول على تأييد زعماء قبيلة قريش للدعوة، لم يدفعه إلى اليأس، بل جعله ينتقل إلى أفراد عشيرته الأقربين من بني عبد المطلب عسى أن تدفعهم صلة الرحم إلى التضامن معه، وقبول دعوته، فقام رسول الله ﷺ بتنظيم مأدبة، دعا لها بني عبد المطلب فاجتمعوا له " وهم يومئذ أربعون رجلاً أو ينقصون فيهم أعمامه أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب...، وبعد أن تناولوا طعامهم خاطبهم الرسول بقوله: يا بني عبد المطلب، والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتمكم به، قد جئتمكم بأمر الدنيا والآخرة. إلا أن بني عبد المطلب لم يظهروا ما يدل على قبولهم للدعوة أو رفضهم لها، ما عدا أبا لهب الذي أعلن معارضته الصريحة للدعوة.

غير أن إجماع زعماء قريش على معارضة الدعوة الإسلامية، وتهديدهم للرسول ﷺ بالأذى حمل عمه أبا طالب، وكان في ذلك الوقت رئيس عشيرة بني عبد المطلب على اتخاذ موقف الدفاع عن الرسول وحمایته، على الرغم من أنه كان على دين قومه.

ثم إن أبا طالب دعا بني هاشم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه فاجتمعوا إليه، وقاموا معه، وأجابوا إلى ما دعاهم إليه من الدفع عن رسول الله ﷺ، "إلا ما كان من أبي لهب.

وقد أورد ابن سعد رواية تعبر عن المدى الذي يمكن أن يصل إليه استعداد بني هاشم وبني عبد المطلب في الدفاع عن الرسول، تقول هذه الرواية إن زعماء قريش تحدثوا في أمر اغتيال الرسول ﷺ " فلما كان مساء تلك الليلة، فقد رسول الله ﷺ وجاء أبو طالب وعمومته إلى منزله فلم يجده فجمع فتياناً من بني هاشم وبني المطلب ثم قال: ليأخذ كل واحد منكم حديدة صارمة ثم ليتبعني إذا دخلت المسجد، فلينظر كل فتى منكم فليجلس إلى عظيم من عظمائهم فيهم ابن الحنظلية، يعني أبا جهل، فإنه لم يرغب عن شر إن كان محمد قد قتل فقال الفتيان نفل، فجاء زيد بن حارثة فوجد أبا طالب على تلك الحال فقال يا زيد أحسست ابن أخي؟ قال: نعم كنت معه آنفاً، فاطمئن أبو طالب إلا أنه صمم على إيصال موقفه إلى زعماء مكة فلما أصبح " غدا على النبي ﷺ فأخذه بيده فوقف به على أندية قريش، ومعه الفتيان الهاشميون والمطلبيون فقال يا معشر قريش هل تدرون ما هممت به؟ قالوا: لا، فأخبرهم الخبر، وقال للفتيان اكشفوا عما في أيديكم فكشفوا، فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة، فقال: والله لو قتلتموه ما بقيت منكم أحداً حتى نتفاني نحن وأنتم فانكسر القوم، وكان أشدهم انكساراً أبو جهل.

إن الأمر الذي يدعو للتساؤل هنا هو لما أحجم أغلبية بنو هاشم وبنو المطلب عن اعتناق الإسلام على الرغم من حمايتهم ودفاعهم عن شخص الرسول .. هل العصبية القبلية التي دفعتهم للدفاع عن الرسول الله هي التي منعتهم من التخلي عن عقيدة الآباء والأجداد أم أن هنالك عوامل أخرى لم تكشف عنها المصادر التاريخية؟ إن الأفراد الذين دخلوا في الإسلام من بني عبد المطلب في المرحلة المكية هم

كل من علي بن أبي طالب، وجعفر بن أبي طالب، ثم تبعهما حمزة بن عبد المطلب كما اعتنق الإسلام من بني المطلب أبو عبيدة بن الحارث، والطفيل بن الحارث والحسين بن الحارث ومسطح بن أثاثة، أما بقية أفراد هاتين العشيرتين فقد فضلوا البقاء على الشرك وبضمنهم أبو طالب على الرغم من اختلاف موقفهم من الرسول ﷺ عن موقف بقية بطون قريش).

وربما جاز للباحث أن يفترض أن تأخر أغلبية بني هاشم وبني المطلب عن

اعتناق الإسلام قد أملت اعتبارات سياسية تتصل بحرصهم على عدم تدهور علاقاتهم ببقيّة العشائر المكية حتى يتم للإسلام الانتشار في ظل حمايتهم له، وقد عبر ابن كثير عن مثل هذه الفكرة حينما تحدث عن موقف أبي طالب من الإسلام فقال: وكان استمرار أبي طالب على دين قومه من حكمة الله تعالى، ومما صنعه لرسوله من الحماية، إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وجاهة ولا كلمة ولا كانوا يهابونه ويحترمونه ولا جترأوا عليه، ولمدوا أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه

وربك يخلق ما يشاء ويختار.

لقد كان أبرز زعماء المشركين يدركون المصلحة السياسية لبني هاشم وبني عبد المطلب في نزول الوحي على رجل منهم، وكانوا يحسدونهم على ذلك. وقد عبر عن ذلك بصورة صريحة وقوية أبو جهل المخزومي حينما قال: "تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف اطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاذبنا على الركب، وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل

هذه، والله لا نؤمن به ولا نصدق.

## المحاضرة التاسعة

### زعماء المشركين وأساليب مقاومتهم للدعوة:

تجمع المصادر التاريخية على أن زعماء المشركين الذين تولوا قيادة المعارضة للدعوة الإسلامية في مكة كانوا يتألفون من رؤساء العشائر القرشية ذوي الغنى والشرف والنفوذ، ومن سار في ركابهم وتعاون معهم من بقية رجال قبيلة قريش. ويستنتج مما أوردته كتب السيرة النبوية عن مواقفهم المناوئة للدعوة الإسلامية

أنهم كانوا يتوزعون على جميع العشائر القرشية). وقد ذكر ابن سعد أن أهل العداوة والمبادأة لرسول الله ﷺ وأصحابه الذي يطلبون الخصومة والجدل أبو جهل بن هشام

وأبو لهب بن عبد المطلب، والأسود بن عبد يغوث...، ثم ذكر نحواً من عشرين

اسما من أسماء رجالات المشركين. وقد قدم لنا ابن إسحاق من قبل قائمة بنحو هذا العدد من زعماء المشركين الذي واجهوا الرسول ﷺ بالعداوة وطلبوا له الخصومة. وقد لوحظ أن معظم هؤلاء لم يدخلوا في الإسلام، وقتلوا في معركة بدر. الأمر الذي

يدل على أنهم كانوا أشد المتحمسين لمقاومة الإسلام من بين زعماء المشركين وعامتهم).

ويستنتج مما أوردته المصادر أن الأسلوب الذي اتبعه زعماء المشركين في مكة

في حيث انتماء أبناء المجتمع إلى عشائر مختلفة وحماية كل عشيرة لأفرادها وفقاً لمبدأ

مقاومة الدعوة الإسلامية قد أخذ بالاعتبار الواقع الاجتماعي السائد في مكة من

التكافل بينهم في السراء والضراء. لذا فقد لجأ زعماء المشركين إلى استخدام نفوذ العشائر في الضغط على من آمن من أفرادها لحملهم على التخلي عن الإسلام.

فقد ذكر ابن إسحاق أنه حينما رأت قريش أن رسول الله ﷺ: "لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه

من فراقهم وعيب آلهتهم، ورأوا عمه أبا طالب قد حذب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم، مشى رجال من أشرف قريش إلى أبي طالب.. فقالوا: يا أبا طالب أن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فأما أن تكفه عنا

وإما أن تخلي بيننا وبينه فنكفيكه وإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه. فقال أبو طالب قولا رقيقاً، ورد رداً جميلاً، فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه.

وتشير المصادر إلى أن زعماء المشركين قد حاولوا إقناع أبي طالب بأن يتخلى

عن حماية الرسول، مقابل أن يعوضوه عن محمد بإعطائه أحد خيرة شبابهم، وهو عمارة بن الوليد بن المغيرة عوضاً عنه، إلا أن أبا طالب سخر من هذا العرض

ورده بقوله: "والله ما أنصفتُموني، تعطوني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكُم ابن أخي تقتلونه، هذا والله لا يكون أبدا .

وحينما اشتد تحدي الدعوة الإسلامية لإخضاع المشركين في مكة، لجأ زعمائهم إلى تهديد أبي طالب بالقتال إذا لم يمنع الرسول عن مواصلة الدعوة ويبدو أن أبا طالب قد خشي من عواقب هذا التهديد، فبعث إلى الرسول ﷺ وطلب منه ألا يحمل من الأمر ما لا يطيق فيكف عن قول ما يكرهه المشركون من ذم لآلهتهم ومعتقداتهم. إلا أن الرسول ﷺ لم يتزحزح عن موقفه، وأجاب عمه بقوله: "يا عم، لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت الأمر، حتى يظهره الله، أو أهلك في طلبه. فتأثر أبو طالب بلهجة ابن أخيه وحماسه، وقال له: "امض على أمرك

وافعل ما أحببت، فوالله لا نسلمك بشيء أبدا .

وإذا كان زعماء المشركين قد عجزوا عن حمل بني هاشم وبني المطلب على الضغط على الرسول ومن أسلم منهم للتخلي عن الدعوة، فقد كان متيسرا لهم ممارسة مثل هذا الضغط على أبناء عشائهم وحلفائهم الذين اعتنقوا الإسلام. يقول ابن إسحاق: "ثم إن قريشا تأمروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم.

وقد أورد الطبري رواية عن عروة بن الزبير بنفس المعنى تقول: "ثم التمرت رؤوسهم بأن يفتنوا من تبعه عن دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم، فكانت قتنة شديدة الزلزال على من اتبع رسول الله ﷺ من أهل الإسلام".

ويبدو أن الضغط الذي مارسه زعماء المشركين على المسلمين كان يتفاوت حسب منزلتهم الاجتماعية في قومهم. فكان أبو جهل إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وأخزاه وقال تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفن حلمك

ولنفيلن – أي لنقبحنه ونخطئه – رأيك، ولنضعن شرفك، وإن كان تاجرا قال: والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك، وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به. وهكذا فقد سلك زعماء مكة أسلوبين متميزين في الضغط على من يسلم، وقد تمثل الأسلوب الأول في الضغط الاجتماعي والاقتصادي، وقد استخدم ضد أبناء القبيلة الصليبية من قبل ذويهم. وتقدم لنا الرواية الآتية نموذجا لهذا الأسلوب. روى عن بعض آل سعد بن أبي وقاص، قال: كنا قوما يصيبنا شظف العيش بمكة مع رسول الله ﷺ وشدته. فلما أصابنا البلاء اعترفنا لذلك وصبرنا له، وكان مصعب بن عمير أنعم غلام بمكة وأجوده حلة مع مع أبويه، ثم القد لقد رأيتَه جهد في الإسلام جهداً

شديداً، حتى لقد رأيت جلدَه تخشف جلد الحية...

أما الأسلوب الثاني فيتمثل بالضرب والتعذيب الذي استخدمه المشركون ضد

المستضعفين وبخاصة الرقيق منهم من أمثال بلال الحبشي وعمار بن ياسر وغيرهما. ويبدو أن تعذيب المشركين لهؤلاء المؤمنين كان شديداً جداً. فقد سئل ابن عباس أكان المشركون يبلغون من المسلمين في العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم. فقال: نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم

ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوي جالسا من شدة الضر الذي به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة).

ويظهر أن المسلمين الذين كانوا ينتمون إلى بني هاشم وبني المطلب وبقية

العشائر المتحالفة معهم في حلف الفضول، لم يتعرضوا للأذى والضغط الاجتماعي من أجل ترك دينهم، مثلما تعرض المسلمون الذين ينتمون إلى عشائر عبد شمس و مخزوم وحلفائهم الذين تصدوا لمحاربة الدعوة الإسلامية بقوة . لذا فقد كان أغلبية المسلمين الذي هاجروا إلى الحبشة للتخلص من الأذى والفتنة في الدين كانوا من أبناء هذه العشائر).

وتؤكد المصادر التاريخية، إن زعماء المشركين لم يقتصرُوا في مقاومتهم للدعوة الإسلامية على وسائل الضغط الاجتماعي والتعذيب من أجل حمل المسلمين على ترك دينهم، بل إنهم لجأوا في الوقت نفسه إلى أسلوب النقد لمبادئ الإسلام والتشهير

بشخص الرسول ﷺ وأتباعه.

## المحاضرة العاشرة

### الدعوة إلى الإسلام في فترة المقاطعة:

يقول الطبري في سياق حديثه عن المقاطعة أن رسول الله ﷺ، قد استمر على الرغم من كل ما واجهه في أثناء المقاطعة يدعو قومه سرا وجهرا، آناء الليل وآناء النهار، والوحي عليه من الله متتابع بأمره ونهيه، ووعيد من ناصبه العداوة، والحجج على من خالفه.

ويبدو أن زعماء المشركين قد قاموا بحملة تشهير واسعة ضد الرسول ﷺ مع بداية حملة المقاطعة، ومن قبلها أيضاً، من أجل كسب عامة الناس إلى صفهم في معركتهم التي تستهدف القضاء على الرسول ودعوته. لذا فقد تصدى لهم القرآن الكريم ففضح مقاصدهم وكشف حقيقتهم كما أوضحنا ذلك آنفاً. يقول ابن هشام في وصف أبعاد هذه المواجهة: فجعلت قريش حين منعه الله منها، وقام عمه وقومه من بني هاشم وبني المطلب دونه وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به، يهمزونه ويستهزئون به ويخاصمونه وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم، وفيما نصب لعداوته منهم، ومنهم من سمي لنا، ومنهم من نزل فيه القرآن في عامة من ذكر الله من الكفار، فكان ممن سمي لنا من قريش ممن نزل فيه القرآن عمه أبو لهب بن

عبد المطلب وامراته أم جميل بنت حرب ابن أمية. وتشير المصادر إلى أن هذه الفترة قد شهدت مساجلات عقائدية مباشرة بين الرسول ﷺ وبين بعض زعماء المشركين، فقد ذكر أن الرسول ﷺ جلس يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم في المجلس، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله ﷺ، فعرض له النضر بن الحارث، فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه، ثم تلا عليه وعليهم ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ لَوْ كَانَ هُوَ لِآءِ وَالْهَاءِ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.

وقد حاول المشركون في هذه الفترة الدخول في مساومات مع الرسول ﷺ حول

عقيدته. فقالوا له، وكان يطوف في الكعبة: يا محمد هلم، فلنعبد ما تعبد، ونعبد ما تعبد، فلنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا بحصنتنا منه وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد، كنت قد أخذت بحظك منه، فأنزل الله

تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ ﴾ .

ويبدو أن الرسول ﷺ كان شديد الحرص في هذه الفترة الحرجة من تاريخ الدعوة على كسب بعض زعماء قريش إلى صفه. لذا فقد تطلع كثيراً إلى إسلام الوليد بن المغيرة حينما وقف يكلمه وقد طمع في إسلامه، فبينما هو في ذلك، إذ مر به ابن أم مكتوم الأعمى، فكلم رسول الله ﷺ وجعل يستقرئه القرآن، فشق ذلك منه على الرسول حتى أضجره وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد، وما طمع من إسلامه، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً وتركه، فأنزل الله تعالى فيه: (عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى)

ومن المحتمل أن زعماء المشركين قد حاولوا في هذه الفترة مساومة الرسول ﷺ على عقيدته من خلال تقديم بعض الامتيازات المادية والسياسية له، بعد أن شعروا أن وسائل الضغط الاجتماعي

والاقتصادي لم تعد تجدي في حمل الرسول ﷺ على تعديل موقفه أو التخلي عن دعوته . فقد ذكر ابن إسحاق أن عتبة وشيبة ابني ربيعة، وأبا سفيان بن حرب، والنضر بن الحارث، وأبا البختري والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية، وأمّية بن خلف والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابني الحجاج اجتمعوا - أو اجتمع منهم - بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد وكلموه وخاصموه تعذروا فيه فبعثوا إليه، إن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك. فجاءهم رسول الله ﷺ سريعا وهو يظن أن قد بدا لهم في أمره بداء، وكان عليهم حريصا يحب رشدهم، ويعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم. فقالوا له: يا محمد، إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك وأنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك. ولقد شتمت الآباء، وعبت الدين وسفهت الأحلام، وشتمت الآلهة، وفرقت الجماعة. فإن بقي أمر قبيح إلا قد جنّته فيما بيننا وبينك. فإن كنت إنما جنّت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا، سودناك علينا. وإن كنت تريد به ملكاً، ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك به رأي تراه قد غلب عليك - وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي -، فربما كان ذلك، بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرتك منه أو نعذر فيك. فقال لهم رسول الله ﷺ: "ما أدري ما تقولون؟ ما جئتمكم بما جئتمكم به لطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل علي كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم. فإن تقبلوا مني ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة. وإن تردوا علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم.

وحين أدرك زعماء قريش ألا أمل في زحزحة الرسول عن عقيدته تحت تأثير إغراءاتهم المادية والسياسية راحوا يطلبون منه أن يأتيهم ببعض المعجزات الغريبة فرد عليهم بقوله: "ما بهذا بعثت، ثم انصرف إلى أهله وهو حزين أسفا على قومه لعدم قبولهم دعوته ومن مبادئهم إياه.

إن حوارات الرسول ومساجلاته الأنفة الذكر مع المشركين وربما غيرها أيضاً، قد أفسحت المجال لوصول إشاعات وأخبار إلى المسلمين المهاجرين إلى الحبشة من أن قريشا قد أسلمت، وإنها سجدت حينما سجد الرسول ﷺ بعد قراءته السورة النجم، فعاد قسم من المهاجرين إلى مكة، وكان عددهم ثلاثة وثلاثين رجلاً حتى إذا دنوا من مكة، بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفياً

ويبدو أن مواصلة الرسول دعوة قومه إلى الإسلام خلال فترة المقاطعة وحواره معهم، وصلاته في المسجد الحرام قد تظهر متعارضة مع أحكام صحيفة - المقاطعة، وبخاصة ما يتصل منها بعزم المشركين على قتل الرسول . غير أن هذه الإشكالية تزول إذا وضعنا في اعتبارنا أن أهل مكة كانوا يلتزمون بمراعاة حرمة الأشهر الحرم. حيث يأمن الناس فيها على أرواحهم من الأذى والقتل. لذا فإن بالإمكان

افتراض أن الرسول ﷺ كان يستغل هذه الفترة، للاتصال بالمشركين ومواصلة تبليغ الدعوة إلى الناس.

